بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليه والصلاة على نبيه، وبعد؛

مع تجدد كل فعل مقاوم ذي شوكة[1]، يشكل بعض ذوي السلطان[2] من بعض الإسلاميين والدهرانيين على مطلق مقاومة المعتدي سواء أكان مستخربا (مستحمرا، مستعبدا) خارجيا[3]، أو وكيلا (نائبا، مفوضا) عنه[4]، محتجين بعد التأمل بدعويين أصليتين عليهما يتفرع كل موقفهم

الأولى: بداهة عدم تكافؤ القوى بين المقاوم الثائر وبين المستخرب ووكيله

الثانية: كلفة المقاومة الدموية والمادية الكثيفة، وعبثية المقاومة، ومجهولية عاقبتها، وانتفاء الخطة المحكمة الضامنة لانتصارها.

فلا بد لأنصار المقاومة من معارضة هاتين الدعويين وإبطالهما ليتم حشد أكبر قدر ممكن من طاقات الأمة[5] في سبيل معركة التحرر القائمة في قلب العالم الإسلامي لنتحرر من عبودية الأسياد ونكون في مقام الأنداد بل في مقام العلو بالحق[6].

الموقف من الدعوى الأولى وفيه مطلبان وخاتمة وإشكال:

المطلب الأول: في شرط العدوان

---

[1] **قال تعالى {وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ } * { لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ } الأنفال 7-8**

[2] السلطان الروحي والثقافي مثل **بعض مشايخ الكهنوت، ومافيات مثقفي اليسار البائد والمتحول، وعرابي حروق الإنسان أنموذجا،** وكذا السلطان المادي لمتغلبي ملوك الطوائف

[3] نستعملها بدلا من كلمة الاستعمار ذات الدلالة الإيجابية في لغة العرب والقرآن الكريم الذي عد الاستعمار مظهرا من مظاهر الاستخلاف، فهو الفائدة الثانية لوجودنا، وهو الوسيلة التي تتحقق بها الفائدة الأولى وهي عبادة الحق تقدس وتنزه.

[4] نستعملها بدلا من كلمة عميل وخائن التي يمثلها ملوك الطوائف، والمتواطئون معهم.

[5] ممن لم ينخرط بعد من القاعدين متربصين، وممن لم يعي بعد خطورة المعركة الأممية وأبعادها، ومن المثبطين المرجو رجوعهم، وأما من شرعوا بالفعل المقاوم فعلا لا لقلقة لسان مثلنا فهم متعالون عن كلامنا هنا أصلا

[6] لا ريب أننا نقطع أن ما نسوقه هنا من حجاج مثبطي المقاومة – الساقطين في أوحال الغباوة والدناءة سقوط الذباب على الشراب -حجاج بين تهافته شنيع خطأه، ولكن وللأسف فإن لكل ساقطة لاقطة، ونحن في زمان يشكك فيه في البدهيات العقلية، واليقينيات المنطقية، فلا شك أن لازم ذلك بالضرورة ترتب النزاع في الأوليات الأخلاقية، والقواطع الدينية، والفطرة الإنسانية، حتى رأينا من أهل السفسطة من هو أحط رتبة من البهائم والعجماوات التي لا ترضى بما يرضونه، ولا تسلك المسالك التي يسلكونها.

ندعي أن شرط عدوان طرف على آخر هو عدم تكافؤ القوى بينهما أساسا، وعدم التكافؤ إما أن يكون متحققا في الواقع وإما أن يكون في وهم المعتدي[7] فلو تعادلت القوى وتكافأت لانتفى الشرط الضروري للعدوان على حقوق الآخرين، سواء أكان هذا العدوان على المستوى الفردي أو الجماعي، في داخل أمة واحدة، أو بين أمم متعددة.

المطلب الثاني: في حقيقة العلاقات الدولية

سنستطرد هنا لبيان أمر قد يغفل عنه البعض في حقيقة العلاقات القائمة بين الأمم، وفي حقيقة العلاقات القائمة بين الحكام المتسلطين ورعاياهم، فنقول:

إن حقيقة هذه العلاقات مبنية على:

1-عدم الوفاء
2-الخوف

وهاتان هما العلتان اللتان ترد إليهما غالب الحروب الدفاعية الاستباقية، والحروب الرادعة، وحروب العدوان الطامعة[8]

وههنا إشارة إلى مفارقة لافتة في مبنى الخوف، فهو قد يدفع لأحد الضدين باعتبارين مختلفين، فهو قد يكون

1-دافعا للعدوان
2-دافعا للكف عن العدوان

- فالأول يكون خوفا من وصول العدو إلى مرحلة رجحان قوته، أو عدم وفاءه -أي العدو-فيعاجل بالعدوان لمنعه من ذلك، أي حتى لا يقوم العدو بالعدوان بعد رجحان قوته.
- والثاني يكون خوفا من الرجحان الحاصل في قوة العدو فيكف الضعيف عن القوي.

---

[7] فلا يرد علينا ما يشكك به البعض على مشروطية العدوان بعدم التكافؤ، مستشهدا بتصارع قوى عظمى مثل فارس والروم، أو الحلفاء والنازيين

[8] حروب الدفاع الاستباقية غالبا ما تكون حروبا مدمرة لقوى العدو معطلة لسعيه، والحروب الرادعة حروب إنذار محدودة الأهداف غالبا، وحروب العدوان الطامعة ينشأ عنها تدمير مقومات العدو واجتياح أرضه ومحاولة استعباد روحه والاستيلاء على خيراته، والتفرقة تقريبية غير حاصرة ولا مانعة.

وهذا هو المراد من آية الإعداد الستين في سورة الأنفال[9]، فإن المطلوب من أهل الملة إعداد قوة ترهب العدو فلا يجرؤ على عدم الوفاء والعدوان خوفا لا خلقا، مع ضمان أهل الملة بالوفاء للعدو ما أوفى بعهده، فلا يدفعنا مجرد الخوف من العدو لمبادرته ما دام ملتزما بالوفاء غير خائن للعهد، كما أننا لا نسلم بالسلم الدائم بل نوقت الصلح حتى لا نغفل عن مكر العدو ونفاجئ به في عقر دارنا!

ويلزم على ما ذكرناه في الاستطراد أنه لا بد من الإعداد الدائم للحرب لمن يريد السلام![10]

الخاتمة:

إذا تنبه أنصار العجز والذلة وعدم المقاومة أن دعواهم بعدم تكافؤ القوى مسلمة لا شك فيها، وسلموا بأن عدم تكافؤ القوى هو الشرط الأساسي للعدوان، فيلزم أن دعواهم ضرورة تحقق التكافؤ بين المعتدي والمعتدى عليه للحكم بمعقولية ومشروعية المقاومة والثورة دور بين يترتب عليه انتفاء العدوان والمقاومة أبدا، ولا شك في تهافته ووضوح سقطه[11].

إشكال الفتوحات الإسلامية:

بقي إشكال على ما قررناه حاصله أن الفتوحات الإسلامية الأولى –مثالا- خارجة عما قررناه، ذلك أنه لا نزاع أن المسلمين كانوا أضعف في العدد والعدة بما لا يقارن إلى امبراطوريتي فارس والروم، والمسلمون رغم ذلك بادروا بالهجوم على فارس والروم في حرب لم تكن حربا دفاعية استباقية أو دفاعية رادعة، أو حرب عدوان طامعة، وخلاصة الجواب أن مفهوم القوة يحتاج إلى تحليل أعمق مما نحن فيه ولكنه إجمالا لا ينحصر في أعراض المادة الظاهرة من العدد والعدة، فالعوامل المعنوية والروحية وإن كانت مما لا يقبل القياس الدقيق ولكنها مؤثرة جدا في سير الحرب وتحديد نتائج معاركها، وهذه العوامل المعنوية والروحية هي بعينها التي تساهم في تقليل فجوة القوة بين المتغلب والمغلوب المقاوم، بل قد تجعل المغلوب المقاوم في أوضاع أقوى بعد انتهاء الصدمة والذهول، وشروع المقاوم في استئناف معركته ومنازعة عدوه.

---

[9] قال تعالى {**وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} الأنفال 60**

[10] قال شيخ الإسلام مصطفى صبري التوقادي –قدس سره-في كتابه قولي في المرأة في بيان حاجة الأمة للوفرة العددية التي يتيحها تعدد الزوجات مثلا " الأمة المتيقظة من واجبها أن تظل عقب انتهائها من حرب قادرة على حرب أخرى، فيلزمها أن تكون دائما على استعداد ولا تنتظر أوان الحاجة".

[11] ذلك أن المقاومة لا توجد ما لم يوجد العدوان، والعدوان لا يوجد ما لم تختل موازين القوى وينتفي التكافؤ، والمقاومة بزعمهم لا تجوز ما لم تتكافئ القوى!

الموقف من الدعوى الثانية وفيه أربعة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: كلفة المقاومة الكثيفة دما ومادة

يحتج أنصار العجز والذلة والوهن[12] بناء على عدم التكافؤ أن المقاومة في حالة الضعف مؤدية إلى الهلاك ومضاعفة الفجوة، وأن حرمة الدم أعظم من كل المقدسات، هكذا "بمنطق رياضي" شديد السذاجة[13]، والجواب البدهي على دعواهم الكلفة العالية، أنها مسلمة ضرورة لعدم تكافؤ القوى، ولكن المقاومة ضرورة لا مندوحة عنها في سبيل الخلاص والتحرر، يكشف عن ذلك مطالعة تاريخ مقاومة الأمم لتتحرر من الجبرية والاستخراب، ثم لا بد في بعض مراحل الصراع من الإثخان والألم المتبادل بين كلا طرفي النزاع[14].

المطلب الثاني: عبثية المقاومة

يزعم أنصار التخذيل أن المقاومة عبث، والعبث كما يظهر إما أن يكون بانتفاء الغاية، أو بكون الوسيلة غير محققة للغاية المرجوة، ولا نتصور للعبث صورة أخرى.

ولا يخفى أن صورتي العبث منتفيتان في الفعل المقاوم[15] فإن له غاية، وهو وسيلة مجربة نافعة بل ضرورية في تحقيق الغاية.

فالفعل المقاوم يبقي القضية حية في نفوس الناس مذكرا لهم ما نسوه أو تناسوه، جاعلا من المقاوم أمثولة ورمزا يحتذى[16]، ويسهم في التغيير التدريجي لموازين القوى الروحية وربما المادية، حتى إذا مكر التاريخ مكره، وتكور على هيئته فعاد كما بدأ، تمكنا عندئذ أن نتفلت من طوق العدو المحكم، ما دمنا على استعداد روحي أصالة ومادي لاغتنام اللحظة السانحة.

---

[12] قال صلى الله عليه وسلم: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها. قيل أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثرة ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت". وفي رواية أخرى " وكراهية القتال "

[13] وصل الحال ببعضهم أن يفتي بعدم وجوب دفاع الرجل عن عرضه لو اغتصب أمامه إن كان دفاعه قد يذهب بروحه، فتأمل!

[14] لا يكف أهل العلم اللدني كاشف الغيوب من الحديث عن المآلات وحفظ الدماء، جاعلين من كل قطرة دم تراق وكل حجر يهدم معززا لبداهة أننا الآن ضعفاء وأن المقاومة عالية التكلفة، **وكأننا لو كنا أقوياء فلن نألم ونخسر الأرواح والأحجار** في مسيرة الدعوة ومغالبة العدو، ولو فكرت الأمم بالنظر إلى هذه المآلات والتكلفة الضيقة لانتفى الفعل المقاوم الشوكي من أساسه.

[15] لا يخفى أن نظرنا في هذه المقالة في ماهية الفعل المقاوم الشوكي مطلقا، إذ أن حججهم يلزم منها نفي كل فعل مقاوم شوكي وإن لبسوا بأمثلة جزئية

[16] ذكر الإمام المجدد السرهندي قدس سره – كما في المختارات من المكتوبات للشيخ الميراني-ما حاصله أن الجيش تقبل منه الحركة اليسيرة في زمن الهزيمة والانكسار والتي لا تقبل منه في زمن الانتصار، فهذا دافع لوهم استخفاف العمل القليل الممكن بحسب طاقة المقاوم.

المطلب الثالث: مجهولية العواقب

يزعم أنصار العار والشنار أن المقاومة مجهولة العواقب، والجواب أن الإشكال مشترك، فحلولهم التي سننظر في بعضها أيضا مجهولة العواقب بل في الحقيقة مستلزمة لبقاء الحال على ما هو عليه بل أشد سوءا.

المطلب الرابع: انتفاء الخطة والتدبير في الفعل المقاوم

يتوهم[17] أنصار الخزي والذلة أن الخطة والتدبير عبارة عن متسلسلة رياضية محكمة لا يعزب عنها احتمال وتنتفي فيها المفاجأة، على وفق ما يتوهمونه من الأقدار الأمريكية والبروتكولات الصهيونية والمحافل الماسونية، ومثل هذه الخطة وهم لا وجود لها في التاريخ وتدبيرات البشر ولا يتصف بها إلا رب العالمين المحيط علما بكل تقدير.[18]

ويتوهمون[19] التدبير والتخطيط أن تجتمع جماعة كبيرة أو صغيرة لتدبر كيف تقوم بثورة وتسلسل خطواتها، وهذا غالبا لا يحدث بالصورة التي يتخيلونها.

الفعل المقاوم غالبا مفاجئ بصورة كبيرة، يشبه الكوارث الطبيعية، والأزمات الكبيرة في الشركات، غالبا ما تكون لها إشارات نفقهها بعد وقوع الحدث لا قبله إلا ما ندر ممن ندر.

والخطة والتدبير لا يستلزم البدء به من لحظة صفرية بل غالبا يكون بعد وقوع الأزمات والأحداث الكبيرة، فينظر فيها وتقلب على وجوهها فنرى كيف يمكن استثمارها والإفادة منها حتى لو كانت بتخطيط العدو نفسه، والمتأمل في أحيان كثيرة يجد خير التدابير في ثغرات تدابير خصومه وعكس قصودها، فالاكتمال محال عادة، والشطرنج خير مثال.

فلا يتوهمن متلاعب أن مقصد الفعل المقاوم ترك التدبير والسعي إلى ملحمة الموت اعتباطا، ففناء الخير بفناء أهله ليس مرادا البتة.

خاتمة: في خطة أنصار التخذيل والتثبيط

يرى بعض أنصار التخذيل والتثبيط بما أننا في حالة ضعف وعجز فلا بد من خطة وعمل، وبعد الاستفصال منهم عن ماهية هذا العمل نجد مفاجأة كبرى، فأصحاب الجعجعة بمطلب التدبير والتخطيط بلا تدبير ولا خطة! وحاصل الجواب الذي وجدناه من أكثرهم أن المطلوب هو:

---

[17]هذا التصوير هو لازم أقوالهم وإن امتنعوا عن التصريح

[18] بل حتى النبي الخاتم المؤيد بالوحي لم يدبر خطة وسارت إلى غايتها على وفق ما دبر لها تماما [خرج إلى بدر يريد القافلة دون قتال فوقع القتال، وخرج إلى أحد نزولا عن رأيه إلى مشورة أصحابه وأمر الرماة فعصوا رسول ربهم فكان ما كان، وحفر الخندق -دون أن يسأل ماذا بعد؟ - فغدر يهود بما لم يكن في الحسبان، وخرج يريد العمرة فكانت الحديبية، واغتر بعض أصحابه -رضي الله تعالى عنهم –في يوم حنين بالكثرة فكادت تكون كسرة إلخ]

[19] وفي الدولة الجبرية لو اجتمع ثلاثة لتدبير **عمل مقاوم سلمي أو شوكي** يطيح بها لكانت احتمالات التفكيك والإحباط عالية! وحتى هذا الاحتمال يجعله البعض عبثية وخروجا عن النهج المستقيم.

1- الصبر[20]
2- التربية والدعوة
3- انتظار الإمام المهدي عليه السلام فلا خلاص إلا به.
4- المفاوضات

- فأما الصبر فهو مطلوب مقارن لكل حياة الإنسان قبل عمله وحال الشروع في الفعل وبعد الانتهاء منه، فهو ليس بخطة أصلا، ولا يعنون به إلا الاستكانة للواقع والاستسلام له، وإن الواقع ينبغي أن يفهم ويعلم لا أن يستكان له.

- وأما التربية والدعوة فهما أيضا مما لا يتعارضان مع الفعل المقاوم، وغالبا ما يسبق الفعل المقاوم بدعوة وتربية مغيرة للفكر والشعور، تكمن في النفس بانتظار لحظة مناسبة.

كما أن ما يوهمه البعض أن المطلوب بالتربية والدعوة استهلاك أعمار المخاطبين حتى يكونوا كلهم فقهاء وعلماء في الاختصاصات الدينية والإنسانية والطبيعية كشرط لقيامهم بالفعل المقاوم، فهو مما لا يستحق النظر أصلا كباقي أوهامهم، ولولا عموم البلوى ما سودنا البياض في التنظير للبديهيات!

- وأما انتظار المهدي فقول أهفت من أن ينظر فيه!

على أن الإمام المهدي إذا قدر الله تعالى مولده وابتداء أمره فلا نشك أن أتباعه رجال صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه أمثال الفتية الذين ءامنوا بربهم وقضوا نحبهم في الأرض المقدسة التي بورك فيها وغيرها من بلاد أهل الملة.

- وأما المفاوضات، فيكفينا قول عدونا نتنياهو" إن العالم يتعاطف مع الضعيف ويقف دائما بجانب القوي"![21]

---

[20] احتج بعضهم بآيات سورة الأعراف من الآية 127-129، وعندما فسرناها له بما يفسد مقصده مستعينين بتفسير الإمام الفخر الرزاي، وسألناه عن الشرائط الوجب توافرها لنقوم بالفعل المقاوم الشوكي، احتج بتهافت آخر على صيغة سؤال عن الوقت الذي ينبغي أن نقتدي به بالنبيين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام في المرحلة المصرية والمكية، **متغافلا عن أن الضعف فقط لو كان مناط عدم لجوئهم للفعل المقاوم الشوكي** لما قال موسى عليه السلام لقومه ادخلوا الأرض المقدسة مع أن فيها قوما جبارين، ولما قالوا بعد موسى عليه السلام ابعث لنا ملكا نقاتل مع أنه لا طاقة لهم بجالوت وجنوده، والأمر أبين من أن يستطال فيه، ولكن تنبه أن الأنبياء عليهم السلام حتى في حالة ضعف من معهم كانوا في جهاد كبير لأقوامهم، ولم يكن منهم " الصبر " على الهيئة التي يرتكبها بعض مشايخ الكهنوت والدهرانيون مع قوات احتلال أرضهم من مستخربين ووكلاء متواطئين معهم

[21] قول عدونا وما أشرنا إليه في حقيقة العلاقات الدولية كاف في جعل حجاج الحاصرين للفعل المقاوم في صورته السلمية رافضين لصورته الشوكية مطلقا، حجاج ذاهب هباء منثورا.
على أننا رأينا من بعضهم عجبا، يهيم بجيفارا إلى حد الثمالة، فإذا صنع بعض قومه صنيعا يتلاشى أمام عظمته جيفارا ومن معه، انقلب غانديا – على طريقة غاندي – إنسانويا رقيق الفؤاد مع عدوه، يدير له خده الأيسر بعد أن لطم الأيمن، فتأمل!

والمفاوضة كما الهدنة كما الفعل المقاوم بصورتيه السلمية والشوكية وسائل لا غايات بحد ذاتها، وهي قد تكون مقدمة للفعل المقاوم الشوكي وقد تكون خاتمة في نهايته يحدد فيها أطراف التفاوض ملامح المستقبل والعلاقة بناء على نتائج المعركة وإمكانيات الطرفين، لتكون فترة استراحة وإعداد، فعدم الوفاء من قوانين العلاقات الدولية.

ونختم محاجتنا بقول ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وقائدها في الحرب "الغربية الكبرى" الثانية: "ليس لدي ما أعطيه لكم غير العرق والدم والدموع والنصر، النصر بأي ثمن."

وبقول الرئيس المجتهد المجاهد علي عزت بيغوفيتش "قد لا يوافقني في ذلك بعض الناس ولكن هذه مشكلتهم فأنا أجد الأطفال رؤيتهم شديدة الوضوح فيما يتعلق بوطنهم البوسنة وعن الشعب الذي ينتمون إليه، هذه المفاهيم واضحة في عقولهم وضوحاً لا لبس فيه، بينما أسمع من بعض المثقفين ثرثرة يقال فيها: أنا محايد، الحرب لا تعنيني، أنا فوق هذا كله، هؤلاء المثقفون المحايدون دائماً فوق شيء ما، خارج شيء ما، حتي مع هذا الصراع الدموي الذي قتل فيه الأطفال واغتصبت النساء هم محايدون، فهل يمكن أن يكون لأي إنسان حق في الحياد أمام هذا الوضع المأساوي.
هذا وقت نضال لا وقت حياد وسلبية، فالخير والشر لم يتصادما بمثل هذا الوضوح الشديد، حتى الأعمى يستطيع أن يميز بين هذا وذاك، ولكن هؤلاء المثقفون محايدون فيا للعار"

وبقوله رحمه الله تعالى: "والغريب أنهم لا يكفون عن الكلام ولكن يدورون في دوائر مغلقة حول مشكلات الحرب والقتل والاغتصاب، ولكن لا يستطيعون أن يصرحوا بوضوح: من الذي يقتل؟ من الذي يطلق الرصاص؟ من الذي يغتصب؟ من المعتدى ومن الضحية؟"

والله تعالى أعلم وأحكم بالصواب وإليه المرجع والمآب